الملصق السياسي والملصق الفلسطيني

الفن لم يعد للصالونات وهو في كل خندق وكل ثورة

لقد لعب الملصق السياسي ولا يزال يلعب دورا حساسا وهاما في تاريخ الامم والشعوب ، وهو سلاح كغيره من أسلحة المعركة في الحرب والسلم . فلقد اخذ الفن طريقه ـ منذ زمن ـ جنبا الى جنب مع البندقية . ومع الثورة الاشتراكية ظهرت الملصقات لتنقل وتروي بمضمونها قصة الكفاح المرير وجوانب ثورة العمال والفلاحين في روسيا وتحمل لاول مرة طابع الانتصار للطبقة العاملة المسيطرة .

وفي الحرب العالمية الثانية ظهر الملصق السياسي كجزء لا يتجزأ من الاسلحة في المعركة ضد النازية ، فلقد غطت الملصقات جدران البنايات ، وفي المعسكرات وعلى خطوط النار مع الجنود في بلدان عديدة تنقل الى الشعوب جوانب هذه الحرب وابعادها وتكشف دور النازية الاجرامي ومطامعها في المجتمع البشري باسره . كما كانت هناك ملصقات كثيرة اخرى تجسد بمضمونها وشعاراتها الثورية بطولة وكفاح وصمود الشعوب المدافعة عن حقها وحريتها وثبت في النفوس روح المقاومة ضد الغزاة الفاشيين .

ولتوضيح الدور الذي يلعبه الملصق السياسي في عصرنا الحاضر ، لا بد من البحث بشكل عام عن دوره ومكانه في حياة الشعوب والامم في كل من :

١ ـ الدول الاشتراكية .

٢ ـ الدول الراسمالية .

٣ ـ الدول النامية ـ دول وبلدان العالم الثالث.

فالفن في الدول الاشتراكية يحمل طابعا ثوريا ويمثل افكار الطبقة الحاكمة ـ طبقة العمال ـ التي تستخدمه كسلاح في معركة الدفاع عن اراضيها وحريتها وفي البناء والازدهار . وبهذا فالفن هو المراة العاكسة للسلطة الحاكمة في دولة البروليتاريا ، ولما كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالشعب فانه بلا شك يعبر اصدق تعبير عن حياته وهو بذلك يكون فنا واقعيا ويحمل طابع « الواقع الاشتراكي » وينقل حياة الماضي والحاضر وآمال وطموح البلد في المستقبل . ولما كانت برامج الدول الاشتراكية تعتبر ان كل شيء يعمل هو من اجل الانسان وباسم الانسان ولرفاهيته وخدمته ، فعلى هذا الاساس فان هذا الانسان في المجتمع الاشتراكي يهتم بكل ما هو حوله في سبيل استخدام طاقاته الفكرية والعملية ولمصلحة الجميع، ولهذا اعتبر كل جانب من جوانب الحياة جزءا من برنامج العمل الجماعي واصبح بذلك كل شيء سياسيا او بتعبير ادق يحمل الطابع السياسي ، وعليه فكل ملصق يعتبر ملصقا سياسيا في هذه الدول لانه يبحث كل جوانب حياة الشعب باسره كوحدة متماسكة .

اما في الدول الراسمالية فنجد ان الملصق يخدم السلطة الحاكمة وهي بالطبع ليست سلطة الطبقة العاملة بل سلطة الراسماليين الاحتكاريين ـ الاقلية الحاكمة ـ ولهذا اصبح الملصق السياسي اداة بيد هذه الطبقة البرجوازية وتستخدمه لمصلحتها الشخصية وتستعمله في بعض الاحيان كسلاح لشجبه في وجه المعارضة التي هي بدورها تصدر ملصقاتها بمضمونها الناقد والثائر وترفع شعاراتها المطالبة بالحرية ضد السلطة المستغلة المحتكرة . وهنا تحاول السلطة الراسمالية تجريد الفن من اهم خصائصه الثورية وجعل الفن للفن فقط وابطال دوره التقدمي وفصله عن السياسة خوفا من استخدامه ضدها من قبل الطبقة المضطهدة .

اما في الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ ودول الشعوب المحاربة من اجل استقلالها وحريتها فالملصق كذلك يحمل طابعا طبقيا وتستغله السلطة الحاكمة لمصلحتها ، ولكن الشعب الكادح الذي يعاني من الاستغلال هو بدوره دائما يجسد الامه وآماله من خلال فنه وفي ملصقاته التي هي جزء من هروبه ومقاومته ورمز لثورته .

هذا عن الملصق السياسي بشكل عام اما حول الملصق السياسي الفلسطيني الذي ابنت فعالية سلاح الفن في خدمة المعركة ، فاننا نرى الواقع الذي نعيشه الان في صراعنا مع العدو يجعل كل الملصقات الفلسطينية تحمل طابعا سياسيا ، فالعدو يحاربنا من كل الجهات وعلى كل الجبهات وفي جميع المجالات ونحن بدورنا يجب ان نرد عليه بنفس الاسلوب . والسؤال المطروح : من الذي يقوم بعمل الملصق الفلسطيني في المرحلة الراهنة ، وكيف نستطيع الوصول به الى المستوى المطلوب محليا وعالميا من اجل استغلاله على احسن وجه كسلاح في المعركة ؟!

في الحقيقة تقوم ثلاث فئات بعمل الملصق الفلسطيني في ايامنا هذه وهي مختلفة في الفهم والوعي والثقافة والتفكير وهذه الفئات هي :

١ ـ فئة الحرفيين ـ افراد ملمون بالمبادىء الاولية التكنيكية للمطابع والمستخدمات الفنية .

٢ ـ فئة الهواة ـ ووسيلتهم الموهبة والخبرة العملية ـ الممارسة ـ وهذا عنصر هام يلعب دوره في حياتهم وينعكس بشكل مباشر على منتجاتهم .

٣ ـ فئة الفنانين ـ ويشمل المحترفين سواء كانوا من ذوي المؤهلات او المجردين منها ، المتخصصين بالملصقات او فروع الفن الاخرى .

فالفئة الاولى ـ الحرفيين ـ يندر ان تنتج ملصقات على المستوى المطلوب لانهم ينفذون ما يطلب منهم من اناس بعيدين كل البعد عن دنيا الفن ، وهذه الفئة تتخذ من عمل الملصق كمهنة ووسيلة للعيش ويتقاضى افرادها اجورا قليلة اذا ما قورنت باجور الفنانين المحترفين .

واما الفئتان الثانية والثالثة فقليلون منهم تمكنوا من عمل ملصقات سياسية على المستوى المطلوب في المرحلة الراهنة في بلدنا وبالتحديد في ثورتنا .

بعض الفنانين ينظرون الى الملصق وكانه لوحة زيتية ومن خلال تجربتهم ووعيهم وثقافتهم الفنية يدورون في فلك التخصص ـ مع الالوان وتوزيعها وتوزيعها في ملصقاتهم . وهذا بالطبع ينطبق على بعض الفنانين الاخرين الذين يعملون ملصقاتهم بنفس الاسلوب وتحت تاثير تخصصاتهم الفنية ، كذلك يعمد قسم كبير الى استخدام التصوير الفوتوغرافي ليسهل عليهم الامور ويعتمدون على الماكنة بالدرجة الاولى ومن الصور والخط الجاهز ثم العملية بالسهولة والسرعة الفائقين . وهذا طبعا غير ممنوع ولكن هناك قوانين خاصة بـ « الملصق المصور » يجهلها البعض .

من هذه الامثلة السابقة نستطيع القول انه من خلال النظر الى الملصق يمكن التعرف على نوع التخصص الاساسي لصاحبه ، لان الملصق يحمل طابعا خاصا يميز وبشكل واضح الفنان وتخصصه . وهذا طبعا لا ينفي وجود فنانين آخرين من ذوي التخصصات العديدة يقدمون ملصقات جيدة وبعضها ممتاز ، وهذا يعتمد بالدرجة الاولى على مقدرة الفنان الفكرية والعملية والمدعومة بالاطلاع الواسع على جوانب الفن ـ في يومنا هذا ـ في البلاد الاخرى واكتساب خبرة من تطور الفن فيها .

الملصق السياسي له قوانين خاصة تميزه عن غيره من الفنون الاخرى فهو يحمل طابع البساطة في الرسم المعبر عن الفكرة بعيدا عن التعقيد والابهام ، ويحتاج الى مهارة ودقة في اختيار الالوان المناسبة والقليلة وان يكون خاليا من العناصر المكررة المتراكمة . فهو وقبل كل شيء هو فن متجدد اكثر من كل انواع الفنون الاخرى لانه فن المناسبة والحدث الفوري وهو مراة عاكسة وماكنة عرض لوقائع الساعة . وهذا التجدد السريع يجعله يعيش اقصر من الفنون الاخرى في مركز القوة وهنا يكمن سر قوة الملصق السياسي .

فهو يعلق على الجدران في الشوارع والحدائق وفي كل مكان دون مدافع عنه ويجب ان يدافع هو عن نفسه بنفسه بقوة تعبيره ودقة نقله وترجمته لحدث ما في لحظة ما ولايصال فكرة معينة ومحددة الى المشاهد . فالانسان العادي ورجل المارة ليس عنده الوقت للوقوف امام الملصق المعلق على الحائط والتمعن والتدقيق والتحليل لفهم محتوياته ، فالملصق الثوري ينقل المضمون للمشاهد عبر اول نظرة وبؤثر مباشرة عليه ، فهو كبرقية يفهم مضمونها من خلال كلماتها القليلة التي تحمل جوهر الموضوع .

وهنا ياتي الدور الكبير الذي يلعبه الفنان مترجما افكاره الثورية مستخدما الالوان والادوات الفنية ليجسد بواسطتها اتجاهه الفني الجديد الذي ينقل للمشاهد صورة صحيحة ومعلومات صادقة ويجعله يعيش لحظات الحدث وينقل الجوهر الموضوعي للملصق وبعيه .

ولعل مشكلة الخط وحجمه ومكانه من اهم المشاكل التي تواجه الفنان لان هذه المعطيات كلها تلعب دورا هاما في الملصق السياسي وتؤثر تاثيرا مباشرا عليه . فليس كل خط يمكن ان يخدم كل الملصقات ولا كل ملصق يمكنه استيعاب كل انواع الخطوط . وبعض الفنانين يحاولون التستر وراء الاحرف الكبيرة وتراكم الكلمات ـ ضمن الشعارات المكتوبة ـ للتغطية على عيوبهم والتي هي ناجمة بدورها اما عن ضعف في الرسم او نقص في التعبير في ملصقاتهم . فان كان هناك لزوما للكلمات وهي عادة تفضل ان تكون مختصرة قدر الامكان لان الرسم في عمل الفنان يعبر عنها بشكل وبصورة اخرى غير الحروف ، ان كان ولا بد من الكلمات فيجب على الفنان ان يفكر قبل البدء في عمل الملصق فيحدد مكانا خاصا لها كجزء لا يتجزا من العمل الفني وان لا يجعلها دخيلة وشاذة دون حساب كما نشاهد بعض الملصقات المشوهة شكلا من جراء عدم اختيار مكان وحجم الحروف المناسب .

الملصق السياسي الفلسطيني هو سلاح ذو فعالية مزدوجة ، يكشف العدو على حقيقته ويعريه امام الراي العام المحلي والعالمي من جهة ومن جهة ثانية ينقل صورا عن جوانب الثورة وبث روح النضال والتضحية ورفع شعارات خطط العمل واهدافنا وحقوقنا المهضومة . والملصق الفلسطيني يجابه ملصقات العدو التي يحاربنا بها كذلك على الصعيدين المحلي والعالمي ، وهنا يبدا الصراع لمعرفة من الذي يحمل الحقيقة وينقل الواقع ويؤثر في نفوس المشاهدين ، وهذا الصراع وهذه الحرب تكون من خلال الفكرة المجسدة في الشكل والمضمون المتكاملين فنيا .

فليكن الملصق الفلسطيني سلاحا فعالا يحمل الينا والى العالم باسره اخبار ثورتنا المجيدة وليكن صرخة في وجه الامبريالية والصهيونية العالمية والرجعية ، وليصبح كل ملصق مدرسة تثقيف للجميع لزيادة الوعي ودروسا تحمل افكارا سليمة وخطا ثوريا واضحا وبرنامجا مخططا للحاضر والمستقبل مع الاستفادة من خبرة الماضي وخبرة الدول المتقدمة في مضمار الفن ليدعم مقدرتنا الفكرية والعملية . وليصبح كل ملصق فلسطيني ملحمة صمودنا ونضالاتنا نجند بها الام وآمال شعبنا وثورتنا وشعوب وثورات كل العالم من اجل التحرر من الامبريالية والصهيونية والرجعية . فالفن لم يعد للصالونات بل اصبح لكل الخنادق وخطوط النار في كل الثورات ، واصبح في كل خيمة من مخيمات اللاجئين وفي كل بيت يؤمن بالعودة وبالحرية والانتصار .

« ابو ابراهيم »

العدد الجديد من « الطريق »

الطريق

العدد الرابع آب ـ ايلول ١٩٧٩

٤

- ملف الطغمة المالية في لبنان
- الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية
- مواقف الشيوعيين الاسرائيليين من قضية الشرق الاوسط
- ثورة الشعب الافغاني في خطر ... هل تنتهي ثورة الاجراء؟
- الهدف الاستراتيجي للمشروع الصهيوني في لبنان
- قراءات ... في طبيعة الكتاب الثوري
- أضواء جديدة على ... ماركسية ... والبناء الاشتراكي

صدر العدد الرابع من الزميلة « الطريق » للعام ١٩٧٩ وفيه جملة من الموضوعات ، ابرزها « ملف الطغمة المالية في لبنان » ، الذي شارك فيه مجموعة من الباحثين ، حيث يكشف وبالارقام ، من يملك لبنان ؟ ومن يتحكم باقتصاده وبالتالي يوجه سياسة الدولة . كذلك يضم دراسة هامة عن « الجذور الطبقية للمشروع الانعزالي » ، ايضا ، « في طرح المشكلة الطائفية » للدكتور كوراني ، مع مجموعة من المقالات والدراسات النقدية في مجال الفلسفة والادب والفن .

لقاءات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في المانيا الديمقراطية

في الفترة ما بين ٢١ تموز الى ٩ آب ١٩٧٩ قام وفد من الامانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بزيارة لجمهورية المانيا الديمقراطية بدعوة من اتحاد الكتاب في جمهورية المانيا الديمقراطية بهدف الاطلاع واجراء محادثات مشتركة وتجديد الاتفاقية الثقافية المعقودة ما بين الاتحادين .

وقد جرت محادثات بين وفد الامانة العامة المكون من الاخوة : بسام ابو شريف ، خالد ابو خالد ، يحيى يخلف ووفد الكتاب في المانيا الديمقراطية المكون من السيد شاينبر مسؤول العلاقات الداخلية والسيد راينر كيرندل نائب الرئيس وعدد من اعضاء الامانة العامة في الاتحاد .

وتبادل الوفدان وجهات النظر في القضايا السياسية ، وبشكل خاص في تطورات القضية الفلسطينية بعد الاتفاقية الخيانية التي وقعها السادات مع التحالف الصهيوني الامبريالي .

كذلك جرى بين الكتاب الفلسطينيين وكتاب المانيا الديمقراطية تبادل وجهات النظر في القضايا الثقافية الانسانية المعاصرة. وتم تجديد الاتفاقية الثقافية واضافة بنود جديدة لها .